

**مدخل تعريفي جديد:  
التعريف بـ "الكينونة الناقصة"**

**A Proposed Perspective on the Definition: Definition by  
"Imperfect Being"**

**أ.د. عبد الله البريدي**

**كلية الإدارة والاقتصاد جامعة القصيم  
المملكة العربية السعودية**

**[beraidi2@yahoo.com](mailto:beraidi2@yahoo.com)**



## مدخل تعريفى جديد: التعريف بـ "الكينونة الناقصة"

أ.د. عبد الله البريدى

### الملخص:

تتأسس هذه المقالة على الأهمية المحورية لتعريف الظواهر في بنية البحث العلمي، وتقرّ بوجود إشكالية إبستمولوجية تتمثل في جمود الفكر الإنسانى فيما يخص المداخل التعريفية لمختلف الظواهر الإنسانية والطبيعية، بما في ذلك التورط بالتعريف أو الحدّ التام وفق المنطق اليونانى، مع التوهّم بأنّه يعكس حقيقة الأشياء المعرّفة، حيث استغرقت البشرية في هذا الوهم قروناً ممتدة. وتقدم هذه المقالة مدخلاً جديداً للتعريف يقوم على فكرة "الكينونة الناقصة": بوصفها كينونة مهرولة نحو الإتمام، وذلك أننا نرى بأن "النقص هو قنص التمام". هذا المدخل يمكن أن يُشكّل منظوراً توصيفياً تحليلياً تفسيرياً لمختلف الظواهر الإنسانية والاجتماعية والطبيعية. ولتفعيل هذا المقترح، طرحت المقالة عدة تعريفات في سياقات إيجابية وسلبية ومارست قدرماً من العرض لمزايا هذا المدخل المقترح بقالب تحليلي مكثف.

الكلمات المفتاحية: التعريف، التعريف المنطقي، الكينونة الناقصة، الظواهر، المبدع.

### Abstract:

This article builds on the focal importance of defining various phenomena in scientific research, and acknowledges the existence of an epistemological problem represented in the rigidity of human thought with regard to the definition approach of various human and natural phenomena, including the Greek logical definition, with the illusion that it reflects the reality or substance of the defined things, as humanity took this illusion for extended centuries. This article provides a new perspective to the definition based on the *idea of "imperfect being"*; as such imperfect being running towards "perfection", that we see that "imperfection is the snipe of perfection." This perspective can constitute a descriptive, analytical, explanatory definitions of various human, social and natural phenomena. In order to activate this perspective, the article put forward several definitions in positive and negative contexts and practiced some degree of presentation of the advantages of this proposed approach in a summarized analytical format.

**Key words:** definition, logical definition, imperfect being, phenomena, creative person.

## 1- التعريف: "كينونة ناقصة وتماهما الاجتهاد":

من المُسلّم به أن "مبحث التعريف" هو أحد أهم لَبِنات المنهجية العلمية لدراسة مختلف الظواهر الإنسانية والاجتماعية والطبيعية، على أننا بحاجة بين الفينة والأخرى، إلى مخالطة المنهج العلمي لدراسة هذه الظواهر، بغية هزّه هزّاً قوياً، من شأنه مشاكسة الرتابة والآلية في التعاطي "المنهجي" مع هذه الظواهر. ونحن إذ ذاك، نمارس قدراً من الضدية للمنهج ولكن بالمنهج ذاته<sup>1</sup>. ولعل من أكثر مسارات هذه المشاكسة نفعاً، ما يتعلق بمسألة التعريف الناجع، أي كيف نعرّف ما نقوم بدراسته وتحليله وتشخيصه بطريقة تُعمّق من فهمنا للظواهر وتزيد من الغلة الاستكشافية البحثية؟

تتأكد ضرورة تطويرنا للمداخل التعريفية إذا وضعنا في الاعتبار حقيقة تورط العقل الإنساني بمدخل تعريفي "أيقوني" جامد لقرون متطاولة، ولقد تأسس ذلك على خرافات المنطق اليوناني، الذي يزعم - مثلاً - بأن الحدّ أو التعريف التام (بالشروط المنطقية المعروفة: بالجنس والفصل القريبين)، إنما يعكس حقيقة الشيء أو ماهيته أو "جوهره"، ولذا فإن البشرية - على سبيل المثال - لا تحتاج لتعريف آخر للإنسان، بعد أن تولّى أرسطو تعريفه "نيابة" عنّا، فحسم الأمر بأنه "حيوان ناطق". تخيلوا هنا حجم الفقد للفلسفة والعلوم الاجتماعية والإنسانية حينما تتجمّد هذه الحقول على تعريف "ماهوي" أسطوري مدعٍ كهذا<sup>2</sup>.

إن مثل هذا الجمود على المدخل التعريفي المنطقي يمثل إشكالية إبستمولوجية بامتياز، ويعوزنا إلى بلورة مقاربات لحلحلتها ومعالجتها. في هذه المقالة المختصرة، أقدم مدخلاً تعريفيّاً جديداً يقوم على فكرة "الكينونة الناقصة". إنها الكينونة الناقصة المهرولة نحو الإتمام، وذلك أننا نرى بأن "النقص هو قنص التمام". هذا المدخل يمكن أن يُشكّل منظوراً توصيفياً تحليلياً تفسيرياً لمختلف الظواهر الإنسانية والاجتماعية والطبيعية. هذا المدخل التعريفي يتأسس على مبدأ وجودي نؤمن به ونرى أن له قدرة تفسيرية هائلة، ومفاده أن "النقص هو قنص التمام" في المحيط الإنساني. وهنا أبادر بالقول إنني حينما وصفتُ هذا المدخل بأنه يحمل قوة تفسيرية هائلة، في سياقٍ أتحدث فيه عن التمام، فإنني لا أعني البتة أنه تفسير تامّ أو كامل للظاهرة، وإنما هو تفسير لأجزاء أو لجزء من الظاهرة المبحوثة أو المُفكّر بها. وذلك أنني أؤمن بأن التعريف أو التوصيف أو التفسير ذاته إنما هو: "كينونة ناقصة وتماهما الاجتهاد"، ممّا يُفيد من كل المحاولات الاجتهادية المنهجية الدوّوبة، لرفع سقوف التفسيرية مع تطور مفاهيمنا ومدخلنا وأدواتنا المنهجية، كما نتوخّى تحقيق جزء منه في هذه المقالة عبر اقتراح هذا المدخل التعريفيّ.

1- قارن ما نقرره بالأطروحة الشهيرة لبول فيرابند: ضد المنهج Against Method.

2- تجدر الإشارة هنا إلى أن الإسلام فتح للعقل بوابة الاجتهاد، وضمن له الأجر، اثنين إن أصاب أو واحداً إن أخفق. ولقد ظفر التفكير الإنساني بانتصاره الكبير على هذا التفكير المجدد للعقل ومن ذلك المدخل التعريفي المنطقي في مراحل النهضة الفكرية الإسلامية المشرقة، وكان تتويجها الكبير على يد ابن تيمية، حيث أطاح بالتفكير التقليدي المقيد للإبداع والاجتهاد. للمزيد، انظر مثلاً: أبو يعرب المرزوقي، إصلاح العقل في الفلسفة العربية - من واقعية أرسطو وأفلاطون إلى إسمية ابن خلدون، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 4، 2011؛ وائل حلاق، ابن تيمية ضد المناطقة اليونان، ترجمة: عمرو بسيوني، بيروت: دار ابن النديم، ط 1، 2019؛ رائد عكاشة وأنور الزعبي، ابن تيمية - عطاؤه العلمي ومنهجه الإصلاحية، عمّان: دار ورد، ط 1، 2008.

## 2- المبدع: "كينونة ناقصة، وتمامها التجديد":

بعد الإيضاح المقتضب لمدخلنا التعريفي المقترح، نبادر بطرح مثال تطبيقي، عبر تعريفنا للمبدع في إطار العلوم الاجتماعية والإنسانية، مع أنه يسعنا طرح أمثلة في رحاب العلوم الطبيعية، بيد أننا أثرنا الاكتفاء بالعلوم الاجتماعية والإنسانية طلباً للتركيز والتماساً للاختصار. هذا المدخل يقودنا إلى أن نعرّف المبدع بوصفه "كينونة ناقصة، وتمامها التجديد" (أو أيّ كلمة أخرى غير التجديد، بحيث تؤمّن معنى الانعتاق من إसार الألفة والجمود). ومثل هذا التعريف يمكن أن يحقق لنا مغنم مفاهيمية وتحليلية وتشخيصية عديدة وعميقة، إلاّ أنه لا يسعنا عكسها كلّها في هذا النص الصغير، ولذا فسأكتفي بعرض بعض الملامح والتطبيقات.

يمكن لنا أن نطرد هذا المدخل التعريفي في سياقات متنوعة ليمسّ مسائل وموضوعات ومفاهيم كثيرة، إذ يمكننا القول مثلاً:

- الأديب/الفنان كينونة ناقصة وتمامها الجمال.
- المبدع/المبتكر كينونة ناقصة وتمامها التجديد.
- المفكر كينونة ناقصة وتمامها العمق.
- المثقف كينونة ناقصة وتمامها المصلحة العامة.

وعلى هذا المنوال، يمكننا نسج تعاريف لبقية المسائل والموضوعات، وذلك وفق ما نختاره من أبنية مفاهيمية تُعبّر عن الظاهرة المبحوثة بحسب نتائج بحثنا، سواء أكان ذلك بكلمة واحدة (كما فعلنا في الأمثلة السابقة) أو أكثر. دعونا نأخذ بعض الشواهد العملية، لتتضح الفكرة أكثر من جهة، ولنفعّل هذا المدخل التعريفي في سياق حياتي معيش من جهة ثانية، مع إبراز قدرته التفسيرية المدهشة لبعض الظواهر الغامضة داخل نفوسنا وعقولنا وأرواحنا ومجتمعاتنا، ممّا قد يجعلها أداة منهجية يمكن لنا أن نبني عليها الكثير والكثير من التوصيفات والتحليلات والتفسيرات المُشسّعة للفهم العلمي والمعالجة العملية. في الفقرات الموالية، سنمارس قدراً من الإيضاح لهذا المدخل التعريفي والاختبار له.

المدخل التعريفي الذي نقترحه للمبدع، يمنحنا جواباً جذرياً وتحليلاً قاصداً، حيث يقول لنا: يبدع المبدعُ لأنه يشعر بالنقص المفضي به إلى الشعور بالحرمان والتوتر (=كينونة ناقصة)، الأمر الذي يدفعه إلى الظفر بأقدار كافية من التجديد عبر الخروج من شرنقة المألوف عبر ممارسة المرونة والطلاقة والأصالة (أركان الفعل الإبداعي)، ليُشبع من ثمّ حرمانه وليُسكّن توتره (=تمامها التجديد). أمّا الإنسان غير المبدع، فهو ليس "كينونة ناقصة"، وإنما "كينونة ممتلئة"، وتمامها اللاشيء (=اللاتجديد). إنها كينونة اللافراغ، فسطورها ممهورة بـ "الرتيب" ومكتظة بـ "المألوف" وضاجّة بـ "العادي". يسعنا تطبيق التحليل ذاته حيال تعريفنا للأديب والفنان، والمفكر وغير ذلك (جربوا ذلك وانظروا في الغلة التحليلية والتشخيصية).

لنحرب القدرة التفسيرية لـ "تعريف النقص القانص للتمام" عبر درجة التعريف في سياقات تشخيصية تفسيرية أكثر إشكالية، فنقول مثلاً: لماذا يبدو المبدعون الكبار متواضعين بدرجات باذخة الصديق مقارنة بمن هم أقل إبداعاً، بينما يتظاهر بالتواضع المدّعون الإبداع؟ هذا التعريف وجود علينا بجواب مكثف مقنع فيما أحسب، والمتمثل في أنه كلما زادت درجة الإبداع زادت مشاعرُ النقص (=كينونة نقص أكبر)، ويترتب على ذلك أمران: أولهما بحثه المتنامي عن إبداعات أكبر (ما يسمى في الأدبيات بـ Breakthrough Creativity) وثانيهما ارتفاع مستويات التواضع، حيث إنّه لا يرى أنّه حقق إبداعاً ذا بال يوازي شعوره "العارم" بالنقص، وهذا ما يفسّر أسرار ديمومة إبداع المبدعين الكبار أو مبدعي الدرجة الأولى واستمرار تواضعهم، إذ هم لا يغترون ولا يغرقون في إبداعهم، بل يبحرون دونما انقطاع صوب إبداع لا يكلُّ ولا يمل. ينطبق مثل ذلك على بقية الفئات: الأديب والفنان والمفكر والقارئ ونحوهم.

### 3- القدرة التفسيرية للمدخل التعريفي المقترح:

لكي نخبر القدرة التفسيرية لمدخلنا التعريفي المقترح، دعونا نجرب زاوية أخرى في سياق الأدب، عبر الغوص في بعض الأسئلة الإشكالية التي تُطرح عادةً في الساحة الأدبية، وذلك بالتقاط مسألة عملية واحدة للتمثيل التطبيقي على ما نروم تقريره. لماذا يتوق روائي أن يصف جنسه الأدبي الذي يبدع فيه بأنه "شعر" (أو العكس)؟ هذا الروائي يصف جنسه بالشعر، لأنه يشعر داخل نفسه بأنه ليس روائياً بل شاعراً، وهذا يعني أنه "كينونة ناقصة وتمامها الشاعر" وليس "كينونة ناقصة وتمامها الروائي". وهو حين يفعل ذلك، إنّما يروم إشباع جانبين من المشاعر الذاتية، وهما:

- (1) احترام الذات Self-Esteem، وهو الاحترام القابع داخل تخوم الذات، أي احترامه لذاته داخل ذاته.
- (2) تقدير الذات Self-Respect، وهو الاحترام العابر لتخوم الذات، أي ما يصور احترام الآخر له، وهو مرتبط بمسألة تأسيس المكانة المجتمعية<sup>1</sup>.

تختلف مقادير هذين النوعين لدى إنسان وآخر، إذ تتوزع بنسب مئوية متفاوتة، على أنّ الأبحاث العلمية تشير إلى أن المتميز أو المبدع يتصف بكونه متوقفاً على ما يُسمّى بضبط داخلي Internal Locus of Control، ممّا يعني أنّه يعوّل كثيراً على العوامل الداخلية أكثر فيعوز لها النتائج المتحققة سلباً كانت أم إيجاباً، أي أنه هنا يُغلب جانب احترام الذات على حساب تقدير الذات، والعكس صحيح بالنسبة لمن يحمل ضبطاً خارجياً.

أيا كانت خلطة الاحترام هذه، سيكون صاحبنا "الروائي" هذا مدفوعاً إلى أن يُلصق نفسه بالشعر حتى لو لم يكن له مُجيداً، بل قد يتفحّمه تقحماً؛ يجلب له النقد الغليظ وربما السخرية السوداء، وقد يخسر روائيته وشاعريته في الوقت ذاته، ويمكن لنا طرد مثل هذه الخسارة الفادحة المحتملة في مختلف

1- ثمة توتر يصحب السعي لتحقيق مكانة اجتماعية، انظر مثلاً: آلان دو بوتون، قلق السعي إلى المكانة، ترجمة: محمد عبد النبي، بيروت، التنوير، ط1، 2018.

السياقات العلمية والمهنية والحياتية، وهنا تكمن خطورة التموضع الخاطئ لـ "كينونة النقص" داخل ذاتنا، وهذا ما يجعلنا نتبصر بما نخبئه من "كينونات النقص" دواخلنا، فهل هي عاكسة لما ينبغي لها أن تعكسه؟!

#### 4- المدخل التعريفي المقترح في سياقات سلبية:

هل يمكن استخدام "تعريف النقص القانص للتمام" في السياقات السلبية في سياق الظواهر الإنسانية والاجتماعية؟ هذا سؤال مشروع بامتياز. نعم يمكننا استخدام هذا المدخل التعريفي في تلك السياقات، وهو يعمل بكفاءة عالية أيضاً. لنجرب مثلاً عملياً على ما نزعم. لنأخذ حالة "الكذاب"، فهو وفق هذا المدخل التعريفي: "كينونة ناقصة وتمامها الخداع". هذا يعني أنّ الكذاب يشعر بنقص إن هو أخفق في كذبه أو خداعه، لأنه ربما يرى في كذبه ذكاء وفطنة، أو أنّه يرى في كذبه انتقاماً وتشقياً، أو خليطاً من ذلك أو نحوه. ومثله "الصادق" فهو: "كينونة ناقصها وتمامها الحقيقة"، ولذلك لا نعجب من الحديث النبوي الشريف الصحيح، حيث عكس هذا المعنى بقالب حاسم جلي: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا".

وفي مثل هذه السياقات السلبية، يمكن لنا تعديل بنية المدخل التعريفي، ليعبر عن الصورة المعاكسة التي تظهر بجلاء أكثر الجانب السلبي، فنقول مثلاً بحق المخادع أنه: "كينونة تامة ونقصانها الحقيقة"، إذ هو لا يتحمل النقصان المتأتي له من التلبس بالمعنى الإيجابي – البوح بالحقيقة، مما يجعله كأساً تفيض بالسلبية والخداع والبؤس القيمي. مثل هذا التقلب للمدخل التعريفي يمنحنا قدرات تحليلية وتوصيفية، وربما تفسيرية أكبر في بعض السياقات، وذلك أنّ المرونة المنهجية مفضية إلى منافع أكبر<sup>1</sup>.

#### 5- المدخل التعريفي في سياقات مجتمعية:

دعونا نجرب المدخل التعريفي في سياق مجتمعي هذه المرة، حيث كان التركيز في الأجزاء السابقة على سياقات فردية/نفسية بشكل أكبر. ماذا لو أردنا أن نعرّف -مثلاً- المجتمع المُستدام Sustainable Society؟ من المُسلم به أنّ تعريف المجتمع المُستدام موضوع إشكاليّ في الأدبيات المتخصصة<sup>2</sup>، لكن دعونا نفترض أن قد أرجعنا الاستدامة إلى فكرة ضمان حقوق الأجيال القادمة، عبر تأمين حقوق الأجيال الراهنة دون المساس بحقوق من سيأتي في المستقبل. هنا يسعنا سبكُ التعريف كما يلي: "المجتمع المُستدام كينونة ناقصة وتمامها الوفاء مع أحفادنا". هذا يفيدنا بأنّ المجتمع المُستدام، سيظل يبحث

1- يمكن لنا استخدام هذه القالب في السياقات الإيجابية أيضاً، فنقول مثلاً عن الصادق، هو: "كينونة تامة ونقصانها الخداع".

2- انظر مثلاً: عبدالله البريدي، التنمية المستدامة، الرياض: العيبكان، ط 1، 2015.

بصدق -للتخلّص من التوتر والتبعة الأخلاقية- عن كل ما يُؤمّن الأرصدة الكافية من الحياة الجيدة للأجيال القادمة، تماماً كما في الحكمة القائلة: نحن لا نرث الأرض من أسلافنا، بل نقترضها من أطفالنا! نخلص ممّا سبق، أنّ المدخل التعريفيّ المقترح أبدى قدرة تفسيرية جيّدة، وهو بحاجة إلى أن يُخضع لمزيد من الاستخدام والتفعيل والاختبار. كما أنّه بحاجة إلى تطبيقات في سياق العلوم الطبيعية أيضاً، مع تطوير أبنيته المفاهيمية والمنهجية والإجرائية.

